مجاورة المعصوم

الشَّعائِرُ في سِيرَةِ المُتَشَرِّعَةِ ٣

حسن يوسف بن نخي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

مجاورة المعصوم

المحتويات

تمهيد ٣
الجوار في رواياتنا ٧
مصطلح الجوار في مصادر العامة ١٦
جريان السيرة في الجوار ٢٢
الجوار والتوطن ٥٦
الخاتمة ٦٣

تمهيد

من شعائر المذهب التي تميزه عن كثير من المذاهب الإسلامية التأصيل لفكرة الزيارة وشد الرحال إلى المعصومين عليهم السلام، بل يختار كثير من الصالحين الهجرة والجوار، وهذه السيرة قديمة في المؤمنين.

أما فضل الزيارة فمما تواترت فيه الأخبار وهو من ضرويات المذهب والدين[1]، حتى أفرد علماؤنا مصنفات كاملة في فضل الزيارة، أشهرها كامل الزيارات، وصنّف أعلام الطائفة كالمفيد والطوسي والشهيد الأول وغيرهم كتبًا في المزار، كما سبقهم إلى ذلك أصحاب الأئمة عليهم السلام ورواة الحديث فقد صنف كثير منهم كتبًا في المزار، كالحسين بن سعيد الأهوازي، وسعد بن عبد الله الأشعري، وعلي بن أسباط، ومحمد بن يحيى، ومحمد بن الحسن الصفار، وغيرهم الكثير رضوان الله عليهم جميعًا ولا يسع المجال لاستقصائهم.[2]

---

(١) راجع جواهر الكلام ٢٠/ ٨٧ و٢٠/ ٨٨ و٢٠/ ٩٦

(٢) للتفصيل راجع تراجمهم وغيرهم في معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره، وعدد الذين كتبوا في فضل زيارة المعصومين وآدابها من رواة الحديث بالمئات إن لم يكن أكثر من ذلك، وكذلك راجع الذريعة للآغا بزرك الطهراني رحمه الله فقد ذكر جملة من كتب المزار.

كما أن سائر مجاميع الأخبار أفردت أبوابًا كاملة في فضل زيارة المعصومين. تجد ذلك بدءًا من الكافي الشريف[٣] والتهذيب[٤] إلى سائر كتب الحديث، كالوسائل والبحار، وغالبًا ما يكون موضع روايات المزار بعد كتاب الحج، لما ورد من أن تمام الحج لقاء الإمام[٥].

وقد فصّلت الروايات في آداب الزيارة قبل أن تحين الغيبة الكبرى، ولم تبدأ الغيبة إلا والموروث الشيعي متكامل في جميع أبوابه ومنها آداب الزيارات؛ وإذا كانت نصوص زيارة سيد الشهداء عليه السلام تصدر عن الإمام الصادق عليه السلام مثلا، فإن نصوص زيارة الإمام العسكري عليه السلام وولده الخلف أرواحنا فداه صدرت عن الإمام العسكري عليه السلام وعن الناحية المقدسة في عدة مواضع.

---

(٣) أبواب الزيارات في الرابع من الكافي، أما سيرة المعصومين فقد ذكرها الكليني رحمه الله في الأصول تحت عنواني النص على المعصوم ومولده.

(٤) في المجلد السادس من التهذيب، وهناك تعرض لذكر سيرة المعصومين وفضل زيارتهم عليهم السلام.

(٥) الكافي ٤/ ٥٤٩ باب إتباع الحج بالزيارة، وراجع الكافي ١/ ٣٩٢ باب أن الواجب على الناس بعدما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام فيسألونه عن معالم دينهم، ويعلمونهم ولايتهم ومودتهم له. وراجع تفسير البرهان في قوله تعالى: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِم} والروايات في ذلك مستفيضة.

من ذلك ما ورد عن أبي محمد عبد الله بن محمد العابد، قال: سألت مولاي أبا محمد الحسن بن علي عليهما السلام في منزله بسر من رأي، سنة خمس وخمسين ومائتين أن يملي علي من الصلاة على النبي وأوصيائه عليه وعليهم السلام، وأحضرت معي قرطاسا كثيرا فأملى علي لفظا من غير كتاب: ... (ثم ذكر ألفاظ الصلوات على المعصومين واحدًا واحدًا من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى سائر الأئمة عليهم السلام حتى انتهى إلى أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام).

قال الراوي: فلما انتهيت إلى الصلاة عليه، أمسك. فقلت له في ذلك؟ فقال عليه السلام: لولا أنه دين أمرنا الله تعالى أن نفعله ونؤديه إلى أهله لأحببت الإمساك، ولكنه الدين، اكتب: ... (ثم أملى الصلاة على نفسه وعلى ولده الخلف صلوات الله عليهما وعلى آلهما)[٦]؛ وربما كان ذلك قبل ولادة الإمام صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

والمستفاد من هذه الرواية أمران؛ الأول أن زيارات الأئمة عليهم السلام

---

(٦) راجع الخبر كاملا في مصباح المتهجد للشيخ الطوسي رحمه الله ٣٩٩، وقد نقله الشيخ عباس القمي رحمه الله في مفاتيح الجنان في ذكر الصلوات على الحجج الطاهرين.

والتسليم عليهم بأسمائهم وارد عنهم صلوات الله عليهم إلى الإمام صاحب الأمر، وهذا أمر يتضح أكثر فيما ورد عن الناحية المقدسة في آداب التسليم عليهم وكيفيتها.

والأمر الآخر أن سلوك الشيعة من زمن النص كان البحث عن الزيارات المنصوصة وسؤال الإمام تأدبًا عن كيفية التسليم عليه، وأشهر ما ورد في ذلك ما عن موسى بن عبد الله النخعي حيث سأل الإمام الهادي عليه السلام قائلا: علمني يا ابن رسول الله قولا أقوله بليغا كاملا إذا زرت واحدًا منكم. فأملى عليه الزيارة الجامعة بآدابها من الغسل وكيفية دخول المشهد المبارك للمعصوم.[٧]

وأجد هذين المطلبين من الواضحات بما لا حاجة معه لمزيد من الشواهد لوضوحه، ومرادنا من نقله أن ما عليه المؤمنون اليوم من تقيد بآداب الزيارة ونصوصها كل ذلك كانت السيرة جارية عليه من زمن المعصومين حتى يومنا هذا، وقد أمضاه المعصومون وأكدوا على استحبابه.

---

(٧) تهذيب الأحكام ٦/ ٩٥

الجوار في رواياتنا

ومن الجوانب المهمة في (شعائر المزار) قضية التأكيد على الجوار، أي جوار النبي صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام والهجرة إليهم؛ بل يستفاد من الأخبار أن الجهاد في هذه الأزمنة هو الجوار، ففي الرواية عن أبي جعفر الجواد عليه السلام: ولا أعلم أن في هذا الزمان جهادا إلا الحج والعمرة والجوار.[٨]

---

(٨) الكافي ١/ ٢٥١

وقد استظهر بعض الشراح أن المراد بالجوار في هذا النص أداء حق الجار، وقال بعضهم: الجوار من إعطاء الأمان وحفظ الذمة، وقيل: مجاورة المخالفين بالتقية، وقيل: مجاورة العلماء للتفقه في الدين.

وهذه الاستظهارات -كما ترى- أجنبية عن النص الشريف ولا تصلح أن تكون قسيمًا للحج والعمرة، أو تكون وظيفة يليق بها وصف الجهاد في فترة رفع التكليف بالجهاد بالسيف، وإنما الأنسب والأوفق للنص مجاورة مكة ومجاورة المعصومين ومراقدهم الشريفة، وسيأتي بيان ذلك في مطاوي البحث.

وهو قريب مما أشار إليه الشيخ محمد أمين الاسترابادي رحمه الله: قوله: (والجوار) أي الاعتكاف، صرّح به ابن الأثير في النهاية. الحاشية على أصول الكافي ص١٤٨

ومقصوده من كلام ابن الأثير ما أورده في النهاية، حيث قال: (وفيه أنه صلى الله عليه وآله كان يجاور بحراء ويجاور في العشر الأواخر من رمضان)؛ أي يعتكف. وقد تكرر ذكرها في الحديث بمعنى الاعتكاف، وهي مفاعلة من الجوار. ومنه حديث عطاء: (وسئل عن المجاور يذهب للخلاء) يعني المعتكف. فأما المجاورة بمكة والمدينة فيراد بها المقام مطلقًا غير ملتزم بشرائط الاعتكاف الشرعي. النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣١٣

والمؤكد أن الجوار هنا يشمل جوار مكة والسكنى فيها، لتناسبه مع سياق الرواية، وذاك أنها ذكرته ثالثًا للحج والعمرة، وأنه جعل في قبال الجهاد، وقد تكرر ذلك في الأخبار.

ففي الخبر أنه قيل للإمامعليه السلام: إن في بلادنا موضع رباط يقال له: قزوين، وعدوًّا يقال له: الديلم فهل من جهاد أو هل من رباط؟

فقالعليه السلام: عليكم بهذا البيت فحجوه! فأعاد عليه الحديث، فقال: عليكم بهذا البيت فحجوه! أما يرضى أحدكم أن يكون في بيته ينفق على عياله من طوله ينتظر أمرنا، فإن أدركه كان كمن شهد مع رسول اللهصلى الله عليه وآله بدرا، فإن مات ينتظر أمرنا كان كمن كان مع قائمنا صلوات الله عليه هكذا في فسطاطه -وجمع بين السبابتين-، ولا أقول: هكذا -وجمع بين السبابة والوسطى-، فإن هذه أطول من هذه.[٩]

وفي خبر آخر قيل للإمام زين العابدينعليه السلام وهو في طريق مكة: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحج ولينه! إن الله عز وجل يقول: {إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي

---

(٩) وسائل الشيعة (الإسلامية) ١١/ ٣٣

سَبِيلِ الله...}. فقال علي بن الحسين عليه السلام: أتم الآية. فقال: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ...}، فقال علي بن الحسين عليه السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج.[١٠]

وعلى ذلك فإن المتسالم عليه أن قصد البيت والانشغال بالعبادة هو اتجاه ثانٍ يقابل اتجاه حمل السيف للجهاد في الفتوحات الإسلامية -وسيأتي كلام ابن تيمية في المقارنة بين الجوار والرباط على الثغور، وتفضيله الرباط وهو الجهاد بسكنى الثغور على السكنى في جوار الحرمين للعبادة-.

وهذا ما يؤكد أن صريح قول الإمام الجواد عليه السلام (ولا أعلم أن في هذا الزمان جهادا إلا الحج والعمرة والجوار) هو ترجيح قصد البيت -بالحج والعمرة ومجاورته- على حمل السيف في بعض الأزمنة.

ثم إنه لا شك في رواياتنا أن هذه المناسك لا تتم إلا بقصد المعصوم، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: إنما أُمِر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم.[١١] وعنه عليه السلام قال:

---

(١٠) وسائل الشيعة (الإسلامية) ١١/ ٣٣

(١١) الكافي ٤/ ٥٤٩

ينبغي للناس أن يحجوا هذا البيت و يعظموه لتعظيم الله إياه، و أن يلقونا حيث كنا، نحن الأدلاء على الله.[١٢]

مضافًا إلى أن بحث المزار متفرع على بحث الحج، وأن الجوار بإجماع أهل القبلة غير منحصر بمكة المكرمة بل يستحب في المدينة المنورة.

وقد استخدم الجوار بهذا المعنى في الروايات منذ زمن النص وأريد به مجاورة مكة[١٣] والمدينة، ففي الكافي الشريف عن عبد الله بن رزين قال: كنت

---

(١٢) تفسير العياشي: ٢/ ٢٣٣

(١٣) ولا بأس بالتنبيه إلى أنه اختلف في حكم الجوار في مكة، والمشهور كراهيته مطلقًا (مسالك الأفهام ٢/ ٣٨١، وتبصرة المتعلمين ١٠٧) ولكن الشهيد الثاني رحمه الله فصّل في ذلك فقال: قد اختلفت الأخبار في كراهة المجاورة واستحبابها، والأشهر فيها وفي كلام الأصحاب الكراهة مطلقا وجمع بعضهم بينهما بحمل الاستحباب على المجاورة لأجل العبادة، والكراهة على المجاورة لا لها، وهو حسن مع الوثوق بالاحترام وعدم الملل وملابسة الذنب ونحوه ممّا علّل به الكراهة (حاشية الإرشاد ١/ ٤٥٨). كما بحث المسألة السيد محمد صادق الروحاني دام ظله في (فقه الصادق ١٢/ ٢٢٩) مفصلا وخلص إلى أن من يثق من نفسه بعدم ترتب شيء من المحذورات المذكورة يستحب له المقام بمكة. وما ذكروه في الجمع بين الروايات أوفق بسيرة المتشرعة، لما ورد من مجاورة الصادق عليه السلام في مكة (وسائل الشيعة ٨/ ٢٢٠)، ومجاورة جملة من الأصحاب في مكة كمحمد بن الحنفية رضي الله عنه (بحار الأنوار ٤٥/ ٣٢٨)، وعبد الرحمن بن الحجاج رضي الله عنه (الكافي ٤/ ٣٠٠)، وأمر الإمام الهادي عليه السلام بعض أصحابه بالمجاورة في مكة (بحار الأنوار ٥٠/ ١٨٣).

مجاورًا بالمدينة...[١٤]، وأفرد الكليني بابًا في أحكام الحج عنونه بـ: باب حج المجاورين وقطان مكة[١٥]، أورد فيه جملة من الروايات أن الذي يقيم إلى جوار بيت الله الحرام يطلق عليه مجاور، منها رواية عبد الرحمن بن الحجاج رضي الله عنه يسأل الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن أحكام الحج إذا جاور البيت الحرام، قال الراوي: إني أريد الجوار فكيف أصنع؟... ثم بين له الإمام عليه السلام كيفية حج المجاور.[١٦]

وفي الكافي أيضًا ضمن خبر في أحكام الحج قال أبو عبد الله عليه السلام: ومن تمتع في غير أشهر الحج ثم جاور حتى يحضر الحج فليس عليه دم، إنما هي حجة مفردة..[١٧]

وقد قام الإجماع على استحباب المجاورة في المدينة المنورة؛[١٨] لذلك قال

---

(١٤) الكافي ١/ ٤٩٣

(١٥) الكافي ٤/ ٢٩٩

(١٦) الكافي ٤/ ٣٠٠

(١٧) الكافي ٤/ ٤٨٧

(١٨) راجع النهاية للشيخ الطوسي ٢٨٧، ونكت النهاية للمحقق الحلي ١/ ٥٦١، وإرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان العلامة الحلي ١/ ٣٣٩، وتحرير الأحكام ١/ ١٣١، والدروس ٢/ ٢١، وجواهر الكلام ٢٠/ ١٠٣

الشيخ عباس القمي رحمه الله: وجاور المدينة الطيّبة إن أمكنتك فإنّها مستحبّة وقد ورد في فضلها أحاديث مستفيضة.[١٩] وقال صاحب الجواهر رحمه الله: ولا إشكال في أنه تستحب المجاورة بها -أي المدينة- بل في الدروس الإجماع عليه؛ للتأسي ولما ورد في مدحها ودعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها، ولما تستتبعه من العبادات فيها، بل قال الصادق عليه السلام في خبر الزيات: من مات فيها بعثه الله تعالى في الآمنين يوم القيامة. وقال ابن الجهم: سألت أبا الحسن عليه السلام أيهما أفضل: المقام بمكة أو بالمدينة؟ فقال عليه السلام: أي شيء تقول أنت؟ قال: فقلت وما قولي مع قولك؟! قال عليه السلام: إن قولك يرد إلى قولي. فقلت له: أما أنا فأزعم أن المقام بالمدينة أفضل من الإقامة بمكة. فقال عليه السلام: أما لئن قلت ذلك لقد قال أبو عبد الله عليه السلام ذلك يوم فطر، وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلم عليه ثم قال: لقد فضلنا الناس بسلامنا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...[٢٠]

وقد ورد في الكافي الشريف الدعاء بعد الأذان في طلب جوار النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرار في المدينة المنورة، ففي الرواية: يقول الرجل إذا فرغ من الأذان

---

(١٩) راجع مفاتيح الجنان في آداب المدينة المنورة.

(٢٠) جواهر الكلام ٢٠/ ١٠٣

وجلس: اللهم اجعل قلبي بارًّا، وعيشي قارًّا، ورزقي دارًّا، واجعل لي عند قبر نبيك ﷺ قرارًا ومستقرًّا.[٢١]

أما مجاورة سائر المعصومين عليهم السلام، فلا إشكال أيضًا باستحبابها، وأشار إلى ذلك صاحب الجواهر بعد أن أشار إلى زيادة شرفية مراقدهم على الحرم المكي، ووجوب تعظيم مشاهدهم واستحباب المجاورة فيها.[٢٢]

---

(٢١) الكافي ٣/ ٣٠٨

(٢٢) قال رحمه الله في مسألة عدم القصاص ممن لاذ بالحرم في تعليقته على المحقق رحمه الله:
(وهل يلزم مثل ذلك في مشاهد الأئمة عليهم السلام) فضلا عن النبي ﷺ (قال به في) المقنعة والمهذب و(النهاية) والسرائر وحدود التحرير وغيرها، واستحسنه المصنف في النكت، ولعله لمعلومية زيادة شرفها على الحرم. ولذا قال في التنقيح بعد أن حكي عن الشيخين ذلك: وهو قريب أما أولا فلما ورد عنهم عليهم السلام: أن بيوتنا مساجد، وأما ثانيا فلما تواتر من رفع العذاب الأخروي عمن يدفن بها والعذاب الدنيوي أولى، وأما ثالثا فلأن ذلك مناسب لوجوب تعظيمها واستحباب المجاورة بها والقصد إليها، بل عن ظاهر التحرير أن المشهد البلد، فضلا عن الصحن الشريف والروضة المنورة، بل لا يخفى على من أحاط خبرا بما ورد في الحائر وحرمه وأنه أربعة فراسخ بل أزيد وغير ذلك مما جاء في قبر النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وغيره من الأئمة عليهم السلام زيادة تعظيمها، ولكن مع ذلك قد تشعر عبارة المصنف بل صريح غيره بالتوقف بل المنع، وهو لا يخلو من جرأة، والله العالم.
راجع: (جواهر الكلام ٤٣/ ٣١)، وراجع: (التنقيح الرائع للفاضل المقداد ٤/ ٤٦٠)

وقد روى شيخنا الصدوق رضي الله عنه في مدينة العلم[٢٣] عن الصادق عليه السلام: مجاورة ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من عبادة سبعمائة عام وعند الحسين عليه السلام أفضل من سبعين عاما.[٢٤]

---

(٢٣) قال الأغا بزرك الطهراني: كتاب مدينة العلم للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المتوفى ٣٨١هـ وهو خامس الأصول الأربعة القديمة للشيعة الإمامية الاثني عشرية. قال الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي في درايته: وأصولنا الخمسة الكافي ومدينة العلم وكتاب من لا يحضره الفقيه والتهذيب والاستبصار. بل هو أكبر من كتاب من لا يحضره الفقيه كما صرح به شيخ الطائفة في الفهرست والشيخ منتجب الدين أيضا في فهرسه، وقال ابن شهرآشوب في معالم العلماء إن مدينة العلم عشرة أجزاء ومن لا يحضر أربعة أجزاء... ثم ذكر فقدان الكتاب ومحاولات البحث عنه. راجع الذريعة ٢٠/ ٢٥١

والكتاب مفقود بين أيدينا اليوم، لكن وصلتنا منه مجموعة روايات متفرقة في مصنفات علمائنا كالسيد ابن طاووس والمحقق الحلي والعلامة الحلي وغيرهم، وأشار الأغا بزرك إلى هذه الرواية المنقولة في المتن.

(٢٤) هكذا رواها الأغا بزرك في الذريعة بالمعنى مسندة إلى من كان يمتلك نسخة من الكتاب. كما وجدت نفس الرواية في نسخة مخطوطة من المقتصر في شرح المختصر للعلامة ابن فهد الحلي ولا يعرف كاتبها. وفي مصابيح الجنان للسيد عباس الكاشاني رحمه الله ص٢٨٩ نقل هذا الحديث عن مدينة العلم للصدوق رحمه الله عن الصادق عليه السلام، ثم روى عن الرضا عليه السلام: جوار أمير المؤمنين يومًا خير من عبادة سبعمائة عام.

كما نقله الشيخ أحمد الرحماني الهمداني رحمه الله في كتابه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ص٨٧ عن مدينة العلم وذكر أن راوي الخبر عن الصادق عليه السلام هو منصور بن حازم رضي الله عنه.

وهذا يدل على أن لفظي (الجوار) و(المجاورة) غير مختصين بمكة والمدينة، بل يشملان جميع المراقد المقدسة، لاستعمالهما في الرواية، وتكررهما في كلمات الأصحاب، وهذا يؤكد أن (الجوار) و(المجاورة) حقيقة في جوار المقدسات. وقد ذكر صاحب الجواهر في شرحه لقول النبي ﷺ في حد الجوار أنه إلى أربعين دارا احتمال إرادة جوار الشرف كساكني النجف وكربلاء وغيرهما بعنوان المجاورة لقبورهم.[٢٥] والاحتمال على بُعده في شرح النبوي، إلا أن الوجه في إيراده أن (الجوار) حقيقة في مجاورة المعصومين عليهم السلام، فيكون الاحتمال واردًا رغم وجود قرينة على خلافه!

أما إذا كانت القرينة موافقة لهذا المعنى كما في قول إمامنا الجواد عليه السلام: ولا أعلم أن في هذا الزمان جهادا إلا الحج والعمرة والجوار. فإنه سيكون واضحًا أن المراد جوار الشرف بعنوان المجاورة لمكة المكرمة وقبورهم المقدسة.

---

(٢٥) جواهر الكلام ٢٨/ ٤٤

مصطلح الجوار في مصادر العامة

الذي يظهر من تتبع مختلف الوثائق التاريخية أن مصطلح الجوار غير مختص بالشيعة وهو مذكور في كتب العامة، ومن أشهر الوثائق في ذلك رحلة ابن بطوطة، فإنه يوثق في رحلته أسماء علماء ووجهاء مكة المكرمة والمدينة المنورة، ثم يوثق أبرز المجاورين للحرم من العلماء وغيرهم[٢٦]، بل قد صنفت جملة من الكتب في ذكر أعلام المجاورين في الحرمين الشريفين على مر عصور.

والمسألة في فقه العامة تبحث مع الاعتكاف[٢٧]، لأن الجوار قد يطلق عندهم ويراد منه نفس الاعتكاف، وقد يراد منه ما هو أعم من الاعتكاف فلا يتقوم بالصوم ولا يُحظر فيه الجماع، وهو بنفسه عبادة كالصوم والرباط على ثغور المسلمين. ويناقش في بحث الجوار حكم شد الرحال إلى جوار المساجد المقدسة، وهل يجوز ذلك في غير الحرمين.

---

(٢٦) راجع رحلة ابن بطوطة ١/ ١١٤ (الفصل الثالث: الحجاز – وجهاء المدينة وضواحيها)، وأيضًا: ١/ ١٣٧ (الفصل الثالث: الحجاز – مكة المكرمة ووجهاؤها)

(٢٧) راجع النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٣١٣

قال ابن القاسم[٢٨]: قال مالك بن أنس: والاعتكاف والجوار سواء، إلا من نذر مثل جوار مكة يجاور النهار وينقلب الليل إلى أهله، قال: فمن جاور هذا الجوار الذي ينقلب به الليل إلى منزله فليس عليه في جواره الصيام...

قال ابن القاسم: وإنما جوار مكة أمر يتقرب به إلى الله مثل الرباط والصيام.[٢٩]

وفرّقوا في ذلك بين القروي (أي: ساكن مكة) إذا أراد المجاورة والبدوي (أي: القادم من خارجها)، فقالوا: أما القروي إذا نذر الجوار يهجر بيته ويهجر الزوج وصام، والبدوي ليس من أهل مكة، فإذا نذر الجوار كانت مكة حينئذ كلها فيجاور في أي نواحي مكة شاء، وفي أي بيوتها شاء، ولم يصم، وأصاب النساء إن شاء، ويبيع ويبتاع، وينتاب المجالس، ويدخل البيوت، ويعود المريض، ويتبع الجنازة، إلا أن ينوي في نفسه أن يكون جواره بباب

---

(٢٨) عبد الرحمن بن القاسم صحب مالك بن أنس، وهو صاحب المدونة الكبرى في المذهب المالكي وهي مسائل الفقه التي وردت عن مالك ورواها ابن القاسم ورواها عنه سحنون.

(٢٩) مدونة مالك ١/ ١٩٥

المسجد ويعتزل ما ينهى عنه في المجاورة.[٣٠]

وفي شرح الحديث النبوي: (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعًا -أو شهيدًا- يوم القيامة).

قال يحيى بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ (٥٦٠هـ): هذا الحديث يدل على شرف المدينة، ونبوة رسول الله ﷺ فيما أخبر به عن حالها بعد موته ﷺ بما آل إليه أمرها من المشقة والجهد لأنها كانت في زمنة، وبعد ذلك فيها سعة لكثرة الغاشي والجالب... إلى أن قال:

وقوله: (المدينة خير لو كانوا يعلمون): أي لو علموا أن جوار رسول الله ﷺ في شدة الأحوال خير من جوار غيره في رخاء من العيش لما فارقوها، وإنما يعرف هذا أهل العلم.[٣١]

والحاصل أن للجوار معنيين عند العامة، أحدها ما يرادف الاعتكاف،

---

(٣٠) كتاب المصنف لعبد الرزاق الصنعاني (٢١١هـ) ٤/ ٣٦٧

(٣١) الإفصاح عن معاني الصحاح ١/ ٣٥١

والثاني المقام في مكة أو المدينة في جوار الحرمين رغبة في الثواب.

●●●

هذا إذا بحث في أحكام الجوار، أما إذا بحث في فضله فإنه يقرن إلى الرباط على الثغور، وذاك أن الرباط على الثغور يراد منه السكنى في المناطق الحدودية للمسلمين بغرض حفظ أمن الدولة الإسلامية، وهو من فروع الجهاد إلا أنه لا قتال فيه -إلا إذا اقتضى الدفاع ذلك-، أما الجوار فهو المقام في البلاد المقدسة لغرض العبادة أو طلب العلم.

وقد أجمع علماء العامة على أن المرابطة خير من المجاورة، واستدل ابن تيمية على ذلك بأن المرابطة من جنس الجهاد والمجاورة من جنس النسك؛ والجهاد أفضل من الحج والنسك، وأفتى بأفضلية الرباط على مجاورة مكة أو المدينة أو المسجد الأقصى.[٣٢]

●●●

ولا تنحصر مسألة جوار المقدسات بالمسلمين، قال ناصر خسرو

---

(٣٢) رسالة لابن تيمية بعنوان (مسألة في المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة شرفها الله تعالى)، وراجع مجموع الفتاوى ج٢٧ ص٢٤، ٤٠، ٥٢، ١٤٢، ج ٢٨ ص٥، ٢٢

الحكيم (٤٨١هـ)[٣٣]: بعد الفراغ من زيارة بيت المقدس عزمت على زيارة مشهد إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام في يوم الأربعاء غرة ذي القعدة سنة٤٣٠هـ الموافق ٢٠ أبريل ١٠٤٧م والمسافة بينهما ستة فراسخ عن طريق جنوبي به قرى كثيرة وزرع وحدائق وشجر بري لا يحصى من عنب وتين وزيتون وسماق، وعلى فرسخين من بيت المقدس أربع قرى بها عيون وحدائق وبساتين كثيرة تسمى الفراديس لجمال موقعها، وعلى فرسخ واحد من بيت المقدس مكان للنصارى يعظمونه كثيرًا يقيم بجانبه مجاورون دائمًا، ويحج إليه كثيرون اسمه بيت اللحم، وهناك يقدم النصارى القرابين ويقصده الحجاج من بلاد الروم...[٣٤]

وقال ابن كثير في ذكر شيخنا الطوسي رحمه الله: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي فقيه الشيعة، ودفن في مشهد علي، وكان مجاورًا به حين أحرقت داره

---

(٣٣) أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي المتوفى ٤٨١هـ، وهو رحالة وفيلسوف فارسي، إسماعيلي المذهب، من أشهر كتبه (سفر نامه) وهو من كتب الرحلات الفارسية وقد ترجم إلى العربية.

(٣٤) سفر نامه ص٧٠ (وصف قبر الخليل)

بالكرخ وكتبه سنة ثمان وأربعين إلى محرم هذه السنة فتوفي ودفن هناك.[٣٥]

●●●

ومحصل كل ما تقدم أن مصطلح (الجوار) من المصطلحات القديمة في التراث الإسلامي، ومن معانيها المعروفة: السكنى بقرب الأماكن المقدسة.

ومن أشهر ما قامت عليه سيرة المسلمين مجاورة مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما قامت سيرة الشيعة على مجاورتهما وسائر المراقد المقدسة.

(٣٥) البداية والنهاية ١٢/ ٩٧ في أحداث سنة ٤٦٠هـ

جريان السيرة في الجوار

نعم ليس من المشهور في السنين الأخيرة مجاورة المؤمنين للبيت الحرام كما أن مجاورة بعض المراقد المقدسة لم تكن شائعةً في بعض الأزمنة، وهذا يرجع في حقيقته إلى الظروف المحيطة، أما أصل جوار المقدسات فواضح ثابت، وقد ورد في تراجم كثير من العلماء مجاورتهم للبيت الحرام ومجاورتهم لسائر العتبات المقدسة.

ويستفاد من مفهوم الروايات التي نهت عن اتخاذ كربلاء وطنًا[٣٦] أن جوار سيد الشهداء عليه السلام كان بغية الشيعة منذ زمن النص فنهاهم الإمام عن ذلك فترة من الزمن، وسبب النهي يرجع إلى التقية وما يلقاه الشيعة آنذاك من حكام الجور خصوصًا مع تصريح جملة من الروايات في رجحان مجاورته عليه السلام وفضل الهجرة إليه، منها:

---

(٣٦) مثل هذه الرواية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أردت زيارة الحسين عليه السلام فزره وأنت كئيبٌ حزين مكروبٌ، شعثا مغبرا جائعا عطشانا، فإنَّ الحسين قُتل حزينا مكروبا شعثا مغبرا جائعا عطشانا، وسله الحوائج وانصرف عنه، ولا تتّخذه وطنا. كامل الزيارات ١٤٢

عن أبي الجارود قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: كم بينك وبين قبر أبي عبد الله عليه السلام؟ قال: قلت يوم وشيء، فقال له: لو كان منا على مثال الذي هو منكم لاتخذناه هجرة.[٣٧] قال المجلسي رضي الله عنه في شرحه على الحديث: بيان أي كنا نتهاجر إليه ونسكن عنده.[٣٨]

ومنها ما عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل قال قلت له: فما لمن أقام عنده -يعني الحسين عليه السلام-؟ قال عليه السلام: كل يوم بألف شهر، قال فما للمنفق في خروجه إليه والمنفق عنده؟ قال عليه السلام: درهم بألف درهم.[٣٩]

ومنها ما ورد في فضل الهجرة إلى أمير المؤمنين وسيد الشهداء عليهما السلام، عن حسان بن مهران قال: قال جعفر بن محمد عليهما السلام: يا حسان أتزور قبور الشهداء قبلكم؟ قلت أي الشهداء؟ قال: علي وحسين عليهما السلام، قلت: إنّا لنزورهما فنكثر. قال عليه السلام: أولئك الشهداء المرزوقون فزوروهم وافزعوا عندهم

---

(٣٧) التهذيب ٦/ ٤٦

(٣٨) راجع البحار ١٠١/ ١١٥

(٣٩) بحار الأنوار ١٠١/ ١١٤ عن كامل الزيارات

وارفعوا بحوائجكم عندهم، فلو يكونون منا كموضعهم منكم لاتخذناهم دار هجرة.[٤٠]

قال المجلسي رضي الله عنه في شرحه على الحديث: بيان قوله: لاتخذناهم دار هجرة، أي لهجرنا إليهم واتخذنا عندهم وطنًا، ويدل على رجحان المجاورة عندهم، وسيأتي القول فيه.[٤١]

ويستفاد ذلك أيضًا من رواية طويلة في كيفية الزيارة وفضلها وردت عن الصادق عليه السلام، حيث قال في ذيلها: فإذا سلمت على القبر فالتمسه بيدك وقل: السلام عليك يا حجة الله في سمائه وأرضه. ثم تمضي إلى صلاتك ولك بكل ركعة ركعتها عنده كثواب من حج واعتمر ألف عمرة وأعتق ألف رقبة، وكأنما وقف في سبيل الله ألف مرة مع نبي مرسل. فإذا انقلبت من عند قبر الحسين عليه السلام ناداك مناد لو سمعت مقالته لأقمت عمرك عند قبر الحسين عليه السلام، وهو يقول: طوبى لك أيها العبد قد غنمت وسلمت، قد غفر لك ما سلف

---

(٤٠) البحار ١٠٠/ ٢٦١ عن فرحة الغري

(٤١) راجع البحار ١٠٠/ ٢٦١

فاستأنف العمل.[٤٢]

والمستفاد من قوله عليه السلام: (فإذا انقلبت من عند قبر الحسين عليه السلام ناداك مناد لو سمعت مقالته لأقمت عمرك عند قبر الحسين عليه السلام) أن المقام عند القبر الشريف ومجاورته أجلب للثواب.

كما ورد في ألفاظ زيارات سيد الشهداء عليه السلام طلب المجاورة والمقام عنده في أكثر من مورد، منها: لا جعله الله آخر العهد مني لزيارتك، ورزقني الله العود إلى مشهدك، والمقام بفنائك، والقيام في حرمك، وإياه أسأل أن يسعدني بكم، ويجعلني معكم في الدنيا والآخرة.[٤٣]

وشبيه هذه المعاني وردت في زيارات متعددة للمعصومين عليهم السلام، منها ما ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام عن الصادق عليه السلام: يا جداه، يا سيداه، يا طيباه، يا طهراه، لا جعل الله آخر العهد، ورزقني العودة إليك، والمقام في حرمك،

---

(٤٢) بحار الأنوار ١٠١/ ١٦٤ عن كامل الزيارات

(٤٣) مصباح الزائر لابن طاووس رحمه الله ٢٥٤

والكون معك.[٤٤]

هذا وقد يُتوهم التعارض بين النهي عن اتخاذ كربلاء وطنًا وبين ما استفاض في الدلالة على رجحان السكنى فيها، وقد ذكر الحر العاملي رحمه الله في توجيه ذلك عدة احتمالات لدفع التعارض المتوهم.

قال الحر العاملي رحمه الله في الوسائل بعد ذكره قول الإمام الصادق عليه السلام: (وانصرف عنه ولا تتخذه وطنا): وتقدم ما يدل على استحباب سكنى كربلاء، فإما أن يحمل ذاك على الوجوب كفاية[٤٥]، أو هذا على أنه مخصوص بنفس

---

(٤٤) فرحة الغري ١٢٣

(٤٥) فيكون سكنى كربلاء واجبًا كفائيًّا، فإذا ارتفع الوجوب كان المقام بها مكروهًا، وهذا نظير جملة من الأعمال المكروهة كالجزار وبائع الأكفان، فإنها على كراهتها تجب كفاية لمصالح عامة الناس. ويكون مراده من هذا الوجه أن المقام في كربلاء لتعظيم المشهد وسدانته وتضييف الزوار واجب كفائي، فإذا ارتفع الوجوب كان المقام في كربلاء منهي عنه.

ونظير هذا الحكم بالوجوب الكفائي ما قاله الشهيد رحمه الله في وجوب الإقامة في مكة والدينة، قال رحمه الله: ويجبر الإمام الناس على الحجّ وزيارة النبيّ صلى الله عليه وآله لو تركوهما، وعلى المقام بالحرمين لو تركوه. (الدروس ١/ ٤٧٣)

الحائر[٤٦]، وعلى استحباب التحول في أثناء السنة[٤٧] كما تقدم في المجاورة بمكة لئلا يقسوا قلبه.[٤٨]

---

(٤٦) هذا مع التفريق بين قرى كربلاء، فقد ورد الأمر في إحدى الروايات بأن: حط رحلك في نينوى، وفي أخرى بأن: فليكن مقامك في نينوى أو الغاضرية، وهي قرى ومناطق مجاورة للحائر، فيكون النهي مختصًّا باتخاذ الحائر الحسيني وطنا، ويكون حط الرحال في القرى المجاورة والسكنى فيها راجحا، والفرق أن للحائر آدابًا خاصة وحرمة يجب أن ترعى فلا يقام فيه إلا للعبادة، والمزار والاستيطان لا يتأتى بهذه القيود، أما خارج الحائر فالجوار المستحب يتحقق.

لكن قد يقال بأن نينوى والغاضرية كانت قرى مأهولة لها سكانها من بني أسد وغيرهم من العرب المجاورين آنذاك، فيكون النزول عندهم أوفق للتقية وأبعد لريبة حكام الجور وعن عيون بني العباس لا لخصوصية في نفس الأرض.

والحق أنه على فرض ذلك فلا تعارض، إذ يمكن البناء على عدم رجحان استيطان الحائر، والبناء على رجحان المجاورة في بعض القرى المحيطة بالحائر، كما أن هذا الحكم كان أوفق للتقية في ذلك الزمان.

(٤٧) فقد وردت روايات في فضل المجاورة بمكة وأخرى تنهى عن المجاورة فيها، وشاهد الجمع بين الطائفتين من الروايات أن المجاور في مكة عليه أن يخرج منها خلال السنة ويتحول إلى بلد آخر كي لا يقسو قلبه. (راجع الوسائل ٩/ ٣٤٠ باب ١٥ وباب ١٦)

ويحتمل أن الملاك واحد في النهي عن المجاورة في مكة والنهي عن المجاورة في كربلاء، فيكون التحول عن كربلاء خلال السنة رافعًا للكراهة.

(٤٨) وسائل الشيعة (الإسلامية) ١٠/ ٤٢٤

والاحتمالات التي أوردها رضوان الله عليه واردة ولكن بعد الإحاطة بظروف تلك المرحلة يكون احتمال التقية الذي ذكره العلامة المجلسي رحمه الله أوضح، ولا مانع من اجتماع أكثر من وجه من وجوه النهي عن المجاورة في كربلاء في وقت واحد، كالتقية وخشية قسوة القلب.

قال العلامة المجلسي: لعل النهي عن اتخاذه وطنا محمول على حال التقية والخوف كما كان الغالب في تلك الأعصار، أو على النهي عن التوقف عند القبر لا عن حواليه وجوانبه، لئلا ينافي الأخبار السالفة وما سيأتي من الدعاء للمقام عنده عليه السلام في كثير من الزيارات.[٤٩]

وذكر البعض أن النهي عن اتخاذ كربلاء وطنًا راجع إلى لزوم مراعاة آداب الجوار لسيد الشهداء وصعوبتها على أكثر المجاورين؛ وهو صحيح لكن لا يلزم منه النهي عن المجاورة، بل يلزم منه الأمر بالمجاورة بشرط الالتزام بهذه الآداب، أو النهي عن مجاورة خالية من الأدب، إذ لا شك في رجحان المبيت عند سيد الشهداء عليه السلام ومجاورته والهجرة إليه.

---

(٤٩) بحار الأنوار ١٠١/ ١١٥

والمؤكد في كل الأحوال أن استحباب المجاورة في كربلاء ثابت جرت عليه السيرة، وأن ثمَّة آدابًا خاصة في كربلاء يجب أن تراعى حفظًا لحرمة كربلاء.

وهذه المجاورة في كربلاء قديمة منذ زمن المعصومين، حيث يستفاد من بعض الأخبار أن الإمام الصادقعليه السلام اختار الجوار في كربلاء فترة من حياته، وأنه أقام فترة في الغاضرية في منطقة سميت الجعفريات لاحقًا بعد فترة مقام الإمام الصادقعليه السلام فيها، وله مقام يزار اليوم، أشار إليه المشهدي في المزار الكبير في باب (الصلاة في مشرعة الصادقعليه السلام)[٥٠]، وقد ذُكر أن الإمامعليه السلام في سنة مائة وأربع وأربعين[٥١] زار الحسينعليه السلام وأقام في منطقة الغاضريات وبقي فيها بعض الأيام، فسميت تلك الأراضي الجعفريات.[٥٢]

---

(٥٠) مزار ابن المشهدي ٤٢٠

(٥١) لعل هذه الحادثة لما أشخص المنصور إمامنا الصادقعليه السلام إلى الكوفة عازمًا على قتله، ثم تراجع المنصور وترك الإمام وشأنه، فلعله أقام في كربلاء بعدها. هذا وقد أشخص المنصور إمامنا الصادقعليه السلام عدة مرات إلى الكوفة وبغداد وغيرها وفي كل مرة يتراجع المنصور عن رغبته بقتل الإمامعليه السلام في قضايا مفصلة أوردها السيد ابن طاووس في مهج الدعوات.

(٥٢) دائرة المعارف الشيعية للشيخ محمد حسين الأعلمي الحائري ١٥/ ١١٠

كما استفاد بعض الباحثين أن الإمام الكاظم عليه السلام جاور الحسين عليه السلام في كربلاء فترة من حياته، وذلك بعد أن أطلق سراحه من سجن بغداد كان يأتي كربلاء ويقيم فيها إلى أن اعتقل ثانية وقتل مسمومًا في سجن السندي بن شاهك لعنه الله.[٥٣] ولهذا الأمر أثر اليوم في زقاق السادة (عگد السادة) في كربلاء، حيث ينسب إلى الإمام الكاظم أنه جاور فيه.[٥٤]

وهذا الجوار الذي أتيح للأئمة عليهم السلام كان ملائما للظروف، منسجمًا مع المعطيات التاريخية التي عاش بها الإمامان عليهما السلام، ومتناسبًا مع الآثار الموجودة اليوم في أرض كربلاء المقدسة.

وممن ذكر أيضًا أنه اختار الجوار في كربلاء هو السيد إبراهيم المجاب،

---

(٥٣) راجع دائرة المعارف الحسينية، أضواء على مدينة الحسين، الحركة العلمية في الحائر للشيخ محمد صادق الكرباسي ج١ ص٣٣

(٥٤) رغم أن الشواهد غير كافية للقطع بصحة القول أن الإمامين الصادق والكاظم عليهما السلام قد جاورا في كربلاء فترة من الزمن، إلا أن هذا الأمر محتمل بقوة، لمناسبة الروايات ومجريات سيرتهم صلوات الله عليهم، ولوجود مقامات قديمة في كربلاء تنسب إليهم معروف بأنها كانت موضع سكنهم في كربلاء فترة مجاورتهم، وهذا كله مؤيد بكبرى استحباب المجاورة التي يتوقع من الأئمة عليهم السلام العمل بها متى ما تيسر لهم ذلك.

وذكر أنه أول فاطمي انتقل إلى الحائر الحسيني وآثر الاستيطان فيه[٥٥] في منتصف القرن الثالث الهجري ، ولذا يلقب ابنه الأكبر بمحمد الحائري وهو الجد الأقدم للسادات (آل فائز) المعروفين اليوم في كربلاء.[٥٦]

وقد ذكر في رواة الحديث جملة ممن جاور في كربلاء، منهم عثمان بن عيسى الرواسي، وكان من رؤوس الواقفة -الذين أنكروا إمامة الرضاعليه السلام مع البطائني والقندي لعنهما الله-، ثم إنه تاب، وسلّم الأموال إلى الرضاعليه السلام، ورأى في المنام أنه يموت في الحائر، فترك الكوفة وجاور في الحائر الحسيني. ولا خلاف في أن عثمان بن عيسى كان ثقة في الحديث.[٥٧]

---

(٥٥) الجوار يتحقق بالمقام بها دون السنة، لكن التوطن جوار طويل قد يستمر إلى آخر العمر.

(٥٦) راجع تراث كربلاء، سلمان هادي طعمة (ط. الثانية ١٤٠٣هـ، الأعلمي) ص١٠٧، وراجع نزهة الحرمين في عمارة المشهدين، للسيد حسن الصدر (ط. قم ١٤٣١، تحقيق السيد مهدي الرجائي) ص٣٨، وراجع مستدركات علم رجال الحديث للشيخ النمازي الشاهرودي ١/ ١٨٦، وراجع البيوتات العلوية في كربلاء للسيد ابراهيم شمس الدين القزويني ١/ ٨

(٥٧) قال النجاشيرحمه الله: (٨١٧) عثمان بن عيسى أبو عمرو العامري الكلابي... وكان شيخ الواقفة ووجهها، وأحد الوكلاء المستبدين بمال موسى بن جعفرعليه السلام، روى عن أبي الحسنعليه السلام. ذكره الكشي في رجاله. وذكر نصر بن الصباح قال: كان له في يده مال -يعني الرضاعليه السلام- فمنعه، فسخط عليه. قال: ثم تاب وبعث إليه بالمال، وكان يروي عن أبي حمزة، وكان رأى في المنام أنه يموت بالحائر على صاحبه السلام، فترك منزله بالكوفة، وأقام بالحائر حتى مات ودفن هناك.

ومنهم عباس بن عيسى الغاضري[٥٨]، وابنه محمد بن عباس الغاضري[٥٩]، وهما معاصران للإمامين العسكريين عليهما السلام[٦٠].

ومنهم: حميد بن زياد وهو من مشايخ ثقة الإسلام الكليني، وهو كوفي انتقل إلى كربلاء وجاور فيها إلى أن مات.[٦١]

ولا يخفى أن المجاورة في الكوفة كانت متأخرة عن المجاورة في المدينة، والمجاورة في كربلاء تأخرت عن المجاورة في الكوفة، وذلك بطبيعة الحال

---

(٥٨) قال النجاشي رحمه الله: (٧٤٦) عباس بن عيسى الغاضري كوفي، أبو محمد، قالوا: كان يسكن في بني غاضرة. أخبرنا أحمد بن عبد الواحد قال: حدثنا علي بن حبشي بن قوني قال: حدثنا حميد بن زياد قال: حدثنا محمد بن عباس بن عيسى، عن أبيه بكتابه.

(٥٩) قال النجاشي رحمه الله: (٩١٦) محمد بن عباس بن عيسى أبو عبد الله، كان يسكن بني غاضرة، ثقة، روى عن أبيه والحسن بن علي بن أبي حمزة وعبد الله بن جبلة. له كتب، منها: كتاب زيارة أبي عبد الله عليه السلام، كتاب الملاحم، كتاب الدعاء، كتاب الفرائض ، كتاب الجنة والنار ، كتاب التفسير. أخبرنا الحسين، عن أحمد بن جعفر، عن حميد، عن محمد بها.

(٦٠) يعرف ذلك من طبقتهما في الحديث.

(٦١) قال النجاشي رحمه الله: (٣٣٩) حميد بن زياد بن حماد بن حماد بن زياد هوار الدهقان أبو القاسم، كوفي سكن سورا، وانتقل إلى نينوى -قرية على العلقمي إلى جنب الحائر على صاحبه السلام- كان ثقة واقفا، وجها فيهم.

لتأخر شهادة سيد الشهداء عليه السلام عن أبيه، ثم لتأخر العمارة في كربلاء وتمصيرها وتأهيلها للسكنى، فضلا عن وجود محاذير التقية في الهجرة والسكنى عنده عليه السلام.

وقد ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام في إنباءاته للغيب أنه قال: كأني بالقصور وقد شيدت حول قبر الحسين عليه السلام، وكأني بالأسواق قد حفت حول قبره، فلا تذهب الأيام والليالي حتى يسار إليه من الآفاق وذلك عند انقطاع ملك بني مروان.[٦٢]

أي أن الهجرة إلى قبر الحسين عليه السلام في بادئ الأمر كانت أمرًا غير متصور والقول به من القول بالغيب لأن الظروف غير مهيئة لذلك، وقد تهيأت الظروف تدريجيًّا خصوصًا مع ارتفاع محذور التقية نسبيًّا ما فتح باب الهجرة والسكنى عند الحسين عليه السلام متأخرًا عن تاريخ شهادته، ومتأخرًا عن المجاورة في الكوفة، التي بدأت في حياة أمير المؤمنين عليه السلام واستمرت بقصد قبره الشريف للمجاورة عنده عليه السلام.

---

(٦٢) بحار الأنوار ١٠١/ ١١٤

وقد ذكر في فرحة الغري أن عضد الدولة ورد كربلاء المقدسة والنجف الأشرف سنة ٣٧١هـ وفرّق على المجاورين في كربلاء عشرة آلاف درهم، وفرّق على المجاورين في النجف الأشرف خمسة آلاف درهم، سوى سائر ما بذله على المشاهد المشرفة والعلويين وغيرهم.[٦٣]

وهذا يدل على أن عنوان (المجاورين) في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة كان مستقرًّا واضحًا بحيث تُفرد له ميزانياته الخاصة في الدولة لنفقات المجاورين فضلا عن نفقات عمارة المشاهد المشرفة.

●●●

أما ما ورد في فضل مجاورة أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة وما ذكر في سيرة الأصحاب فكثير، ومن الروايات المناسبة في المقام ما في كامل الزيارات أنه أتى رجل أبا عبد الله عليه السلام فقال: إني قد ضربت على كل شيء لي ذهبا وفضة وبعت ضياعي، فقلت أنزل مكة؟ فقال عليه السلام: لا تفعل فإنّ أهل مكة يكفرون بالله جهرة! قال: ففي حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: هم شر منهم! قال: فأين أنزل؟ قال عليه السلام: عليك بالعراق الكوفة؛ فإنّ البركة منها على اثني عشر ميلا هكذا

(٦٣) فرحة الغري ١٥٥

وهكذا وإلى جانبها قبر ما أتاه مكروب قط ولا ملهوف إلا فرج الله عنه.[٦٤]

والرواية تشير إلى سلوك إيماني عند عامة المؤمنين منذ ذلك العهد، أن يعيد تنظيم شؤونه راغبًا في الهجرة إلى البقاع المقدسة، ولما سأل الإمام في ذلك الزمن عن مجاورة مكة نهاه ورجّح له الكوفة أي مجاورة قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد ذكر في تراجم الرواة أكثر من راو اختار الجوار في الكوفة، منهم: أبو جعفر محمد بن علي البزرجي قمي جاور في الكوفة[٦٥]، وعلي بن عيسى المجاور[٦٦]، وأبو محمد الحسن بن أحمد العجلي الرازي المجاور[٦٧]، ومحمد بن

---

(٦٤) بحار الأنوار ٩٩/ ٣٧٧ عن كامل الزيارات، وتهذيب الأحكام ٦/ ٤٤

(٦٥) راجع: كمال الدين ٢/ ٥١٧، وفيها يصف نفسه بأنه قمي مجاور بالكوفة في مسجد أمير المؤمنين. وقد أدرك زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهو من مشايخ الصدوق رحمه الله، وهو من ذرية منصور بن يونس بزرج من أصحاب الصادق عليه السلام. ذكره السيد الخوئي في المعجم ١٤/ ٣٢٧

(٦٦) يلقب بالمجاور، ووصفه الصدوق رحمه الله في عيون الأخبار ١/ ٩٥ و٢/ ٢٥٢ و٢/ ٢٣٠ بالمجاور في الكوفة، وذكره السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ١٣/ ١١٨

(٦٧) قال النجاشي رحمه الله: (١٥١) الحسن بن أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي أبو محمد ثقة، من وجوه أصحابنا، وأبوه وجده ثقتان، وهم من أهل الري، جاور في آخر عمره بالكوفة ورأيته بها، وله كتب منها: كتاب المثاني، وكتاب الجامع.

بكران الرازي[٦٨]، محمد بن محمد بن أحمد البجلي[٦٩]، وغيرهم من أوائل الشيعة الذين اختاروا الجوار في الكوفة، ما يؤكد أن الجوار فيها كان مأمورًا به، وأنه كان بغية الشيعة منذ تلك العصور.

●●●

بل مطلق مجاورة المقدسات كان مطلوبًا مرغوبًا عند المؤمنين، ولا تدل الرواية السابقة على كراهة مجاورة مكة في نفسه، وإنما النهي لسوء خلق أهل مكة في زمن الرواية، أي أن النهي لعنوان عارض، وهكذا النهي الوارد في اتخاذ كربلاء وطنا من الواضح أنه لعارض في ذلك العصر كالتقية، وإلا فمجاورة المقدسات مأمور به بصريح الروايات.

ويؤيد هذا الأمر ما ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أن

---

(٦٨) راجع النجاشي: (١٠٥٢) محمد بن بكران بن عمران أبو جعفر الرازي سكن الكوفة، وجاور بقية عمره عين مسكون إلى روايته. له كتاب الكوفة، وكتاب موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب شرف التربة.

(٦٩) راجع النجاشي: (١٠٥١) محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن رباط الكوفي البجلي. سكن بغداد، وعظمت منزلته بها، وكان ثقة، فقيها، صحيح العقيدة. له كتاب الفرائض، وكتاب الطلاق، وكانت له رياسة في الكرخ وتقدم الجماعة وأضر وخرج إلى الكوفة، فجاور إلى أن مات هناك.

أباه الصادق عليه السلام جاور في مكة[٧٠]، ويظهر أن مجاورة الإمام في مكة كانت فترة مقتل المعلى بن خنيس رضي الله عنه، فقد روى إسماعيل بن جابر أنه كان مجاورًا بمكة مع الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام، فأمره الإمام أن يخرج حتى يأتي مُرَّةَ أَوْ عُسْفَانَ ويستطلع الخبر، فخرج ثم جاء بخبر مقتل المعلى بن خنيس رضي الله عنه.[٧١]

●●●

ويستفاد أيضا بأن مجاورة هذه المراقد في زمن النص كان مطلوبًا رغّب به الشارع إلا أن وقوعه خارجًا ليس متيسرًا للجميع لمحذور التقية، ومما يناسب المقام هذه الرواية التي تؤكد الصعوبة في الهجرة:

عن محمّد بن مسلم رضي الله عنه وهو كوفي سأله الصادق عليه السلام قال: هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟ فقال: نعم على خوف ووجل، فقال عليه السلام: ما كان في هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف، فمن خاف في إتيانه آمن الله روعته يوم يقوم الناس لرب العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلمت عليه الملائكة، ورآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يصنع، ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبع

(٧٠) وسائل الشيعة (الإسلامية) ٨/ ٢٢٠

(٧١) رجال الكشي، في ترجمة المعلى بن خنيس

رضوان الله..الخبر[٧٢]

ومن الشواهد أيضًا ما روي عن الحسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي قال: خرجت في آخر زمان بني مروان إلى قبر الحسين بن علي عليهما السلام مستخفيا من أهل الشام حتى انتهيت إلى كربلا فاختفيت في ناحية القرية، حتى إذا ذهب من الليل نصفه أقبلت نحو القبر فلما دنوت منه أقبل نحوي رجل فقال لي: انصرف مأجورا فإنك لا تصل إليه، فرجعت فزعا حتى إذا كاد يطلع الفجر أقبلت نحوه، حتى إذا دنوت منه خرج إلي الرجل، فقال لي: يا هذا إنك لن تصل إليه، فقلت له: عافاك الله ولم لا أصل إليه وقد أقبلت من الكوفة أريد زيارته؟ فلا تحل بيني وبينه عافاك الله، وأنا أخاف أن أصبح فيقتلوني أهل الشام إن أدركوني ههنا. قال: فقال لي: اصبر قليلا فإنّ موسى بن عمران عليه السلام سأل الله أن يأذن له في زيارة قبر الحسين بن علي فأذن له فهبط من السماء في سبعين ألف ملك فهم بحضرته من أول الليل ينتظرون طلوع الفجر، ثم يرجعون إلى السماء. قال: فقلت: فمن أنت عافاك الله؟ قال: أنا من الملائكة

(٧٢) بحار الأنوار ١٠١/ ١٢١ عن كامل الزيارات

الذين أمروا بحرس قبر الحسين عليه السلام والاستغفار لزواره، فانصرفت وقد كاد يطير عقلي لما سمعت منه، قال: فأقبلت حتى إذا طلع الفجر أقبلت نحوه فلم يحل بيني وبينه أحد فدنوت منه فسلمت عليه، ودعوت الله على قتلته، وصليت الصبح، وأقبلت مسرعا مخافة أهل الشام.[٧٣]

والشاهد من ذلك شدة الخوف في زيارة الحسين عليه السلام، وأن المسافر يقيم في القرى المجاورة ينتظر أن يجن عليه الليل ليتوجه إلى الزيارة. فما بالك بالمقام عنده ومجاورة القبر الشريف؟

وهذه السيرة في اختيار الجوار مستمرة من سيرة الأئمة عليهم السلام وأصحابهم إلى المؤمنين على مر العصور بعلمائهم وعوامهم، وقد جرت منذ قديم الزمان في رغبتهم بجوار المراقد المقدسة وانصرافهم عن القيام بالسيف -إلا ما ندر- فصار جهادهم وهمهم قصد قبورهم عليهم السلام وطلب العلم في جوارها، والانشغال بالعبادة هناك وصلة آل رسول الله وانتظار أمرهم عليهم السلام.

●●●

(٧٣) بحار الأنوار ٤٥/ ٤٠٨ عن كامل الزيارات

ثم إن ملامح المجاورة في الكاظمين بدأت مبكرًا بعد استشهاد الإمام الجواد عليه السلام، وذاك أن الإمامين الكاظم والجواد عليهما السلام استشهدا في بغداد ودفنا في مقابر قريش التي تقع خارج حدود بغداد، وكانت قبل بناء المدينة المدورة تسمى مقبرة الشونيزية، ثم دفن فيها جعفر بن أبي جعفر المنصور وجعلت مقابرًا للقرشيين الذين يموتون في بغداد، وفي ناحية من هذه المقبرة دفن الإمام موسى الكاظم عليه السلام وسرعان ما بني القبر الشريف وصار له مشهد معلوم[٧٤].

والذي يظهر أن العمارة بالسكان حول المشهد الشريف بدأت مبكرًا، يظهر ذلك من عدة نصوص منها حادثة رواها ابن مسكويه في أحداث سنة ٣١٢هـ[٧٥] ذكر فيها أن لهذه المنطقة بيوتا وحُجرًا وسكانًا مجاورين، ويلزم من ذلك أن الشروع في بناء المنطقة المحيطة بالمقابر وتأهيلها بالسكان كان بعد شهادة الإمام الجواد عليه السلام (٢٢٠هـ) بفترة وجيزة، حتى تكون المنطقة بعد أقل من قرن ذات بيوت ومحلات عامرة.

---

(٧٤) راجع سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٧٤، ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ٣/ ٢٩٥

(٧٥) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ٥/ ١٩٥

ولما كان زمن الديالمة[٧٦] وارتفع الخوف والحذر عن الزائرين وكثر الازدحام من الشيعة لزيارة الإمامين عليهما السلام كثرت البيوت حول بقعتهما المباركة. وفي سنة ٣٣٦هـ أمر معز الدولة بقلع العمارة المبنية على القبرين ورفع الضريحين وبنى عمارة جليلة في مكانهما ووضع على القبرين ضريحًا خشبيًّا من الساج جميل الشكل حسن الطراز، وتعلو العمارة قبتان بديعتان، وأمام العمارة صحنا واسعًا رفيع الجدران. وأنزل الجنود للخدمة والمحافظة على المشهد وتأمين الزائرين. فكان الناس يقصدون الزيارة أفواجًا وهم آمنون على أنفسهم وأموالهم، وكثرت المجاورة حول المشهد الشريف.[٧٧]

وكانت تقام النياحة علنًا في بغداد أيام عاشوراء، وتعقد الاحتفالات في الغدير، والمقصد إلى المشهد الكاظمي، وكانت تعطل الأسواق، وكل ذلك إشارة إلى كثرة المجاورين من الشيعة.[٧٨]

---

(٧٦) أي الدولة البويهية التي تأسست سنة ٣٣٤هـ

(٧٧) راجع تاريخ الإمامين الكاظمين عليهما السلام وروضتهما الشريفة للشيخ جعفر النقدي رحمه الله ص٥٤

(٧٨) راجع المنتظم ١٤/ ١٥٠ في حوادث سنة ٣٥٢هـ، و٣٥٣هـ، و٣٥٤هـ، وراجع لسان الميزان لابن حجر ٥/ ٥٥٧ حيث يذكر فيها حادثة وقعة سنة ٣٤٦هـ وغيرها من مصادر تشير إلى تاريخ النياحة في بغداد

وفي سنة ٣٩٣هـ مُنع أهل الكرخ وباب الطاق في عاشوراء من النوح في المشاهد[٧٩]، وهذا يعني أن الشعائر الدينية كانت قائمة عند المجاورين للمشهد الكاظمي في عاشوراء، ما يدل على كثرة المجاورين من أهل الإيمان.

بل كان الشيعة مقيمين على هذه الشعائر في بغداد الكاظمعليه السلام قبل دولة البويهين، ولكنهم كانوا لا يتمكنون من إقامة النياحة على الحسينعليه السلام إلا بعزّ سلطان، أو سرّا، لأجل الحنابلة. يظهر ذلك من وجود شيعة يمتهنون النياحة؛ يستفاد ذلك من خبر النائحة خُلّب التي أمر البربهاري لعنه الله بقتلها[٨٠] وذاك في أواخر القرن الهجري الثالث.[٨١]

كل ذلك يدل على قِدم المجاورة في بغداد وأنها بدأت بعد شهادة الإمام الجوادعليه السلام بفترة وجيزة، وقد تمكن الشيعة فيها من إقامة جملة من شعائرهم

---

(٧٩) المنتظم لابن الجوزي ١٥/ ٣٧

(٨٠) نشوار المحاضرة ٢/ ٢٣٣

(٨١) وذاك أن البربهاري هلك سنة ٣٢٩هـ، وكان في أواخر حياته مطاردًا مهددًا بالقتل، ولم يحضر جنازته أحد سوى رجل واحد صلى عليه! ما يعني أن أمره بقتل النائحة خلب رحمها الله كان قبل هلاكه بسنوات. وهذا يعني أن وجود النياحة في بغداد كان قبل مقتل خلب بسنين طويلة.

تدريجيًّا، ذلك فضلا عن استيطان جملة من أساطين الطائفة فيها حتى وفاتهم ودفنهم إلى جوار الكاظمين عليهما السلام.

●●●

أما سامراء فهي من أغرب المدن في التاريخ، كانت قطعة أرض على دجلة لا عمارة فيها إلا دير للنصارى، ثم بنيت فصارت من أزهى عواصم بني العباس بناها المعتصم ٢٢١هـ وسميت سُر من رأى، وتسابق الشعراء إلى مدح قصورها وجمالها، ثم صارت خرابًا بعد نصف قرن في سنة ٢٧٩هـ بعد أن رجع الخليفة إلى بغداد وهجر المدينة فسميّت ساء من رأى (سامرّاء)!

قال ياقوت الحموي: ولم تزل كل يوم سر من رأى في صلاح وزيادة وعمارة منذ أيّام المعتصم والواثق إلى آخر أيّام المنتصر ابن المتوكل، فلمّا ولي المستعين وقويت شوكة الأتراك واستبدوا بالملك والتولية والعزل وانفسدت دولة بني العبّاس لم تزل سر من رأى في تناقص للاختلاف الواقع في الدولة بسبب العصبية التي كانت بين أمراء الأتراك إلى أن كان آخر من انتقل إلى بغداد من الخلفاء وأقام بها وترك سر من رأى بالكلية المعتضد بالله أمير المؤمنين -كما

ذكرناه في التاج- وخربت حتى لم يبق منها إلا موضع المشهد الذي تزعم الشيعة ان به سرداب القائم المهدي ومحلّة أخرى بعيدة منها يقال لها كرخ سامراء وسائر ذلك خراب يباب يستوحش الناظر إليها بعد أن لم يكن في الأرض كلّها أحسن منها ولا أجمل ولا أعظم ولا آنس ولا أوسع ملكا منها، فسبحان من لا يزول ولا يحول.[٨٢]

ومن إنباءات الإمام الهادي عليه السلام بالغيب إخباره بالمصير القريب لسامراء، حيث قال عليه السلام: أخرجت إلى سر من رأى كرها ولو أخرجت عنها أخرجت كرها! قال الراوي: قلت: ولم يا سيدي؟ قال: لطيب هوائها، وعذوبة مائها، وقلة دائها. ثم قال عليه السلام: تخرب سر من رأى حتى يكون فيها خان وبقال للمارة، وعلامة تدارك خرابها تدارك العمارة في مشهدي من بعدي.[٨٣]

لذلك لم تعرف المجاورة للعسكريين مبكرًّا بعد خراب سامراء، ويظهر من كلام السيد ابن طاووس رحمه الله (٦٦٤هـ) أن مجاورة سامراء لم تكن ظاهرة

---

(٨٢) معجم البلدان ٣/ ١٧٦

(٨٣) بحار الأنوار ٥٠/ ١٢٩ عن أمالي الطوسي

معروفة في زمانه، لأنها كانت معزولة في الكلية عن البلاد وكأنها صومعة في برية[٨٤]، ومنه يظهر أن العمران والمجاورة بقرب مشهد العسكريين عليهما السلام تأخرت عدة قرون.

ومن الأسباب المانعة لهذه المجاورة أن جملة من الشيعة كانوا يحتاطون في دخول مشهد العسكريين عليهما السلام ولا يزورون إلا من خارج المشهد، وذاك أن للدار صاحب ولا يجوز دخولها بدون إذنه.

قال صاحب الجواهر رحمه الله:

وقال العسكري عليه السلام: قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين. لكن عن المفيد أنهما يزاران من ظاهر الشباك ومنع من دخول الدار، بل عن الشيخ أنه أحوط، لأنها ملك الغير، فلا يجوز التصرف فيها إلا بإذنه، قال: ولو أن أحدا دخلها لم يكن مأثوما، وخاصة إذا تأول في ذلك ما روي عنهم أنهم جعلوا شيعتهم في حل من مالهم. ولكن الآن من ضروري مذهب الشيعة جواز ذلك ولعله لأن قبورهم عليهم السلام بقع من بقاع الجنة، وأنها مشاعر ومختلف أوليائهم

(٨٤) في كشف المحجة والفصل ١٣٤

ومجمع شيعتهم وغير ذلك مما يكون التوقف فيه من الوساوس.[٨٥]

●●●

أما السيرة في مجاورة مشهد الرضاعليه السلام في طوس فيظهر كذلك أنها متأخرة لبُعد داره عليه السلام عن الشيعة، وأنه دفن في دار مضيعة وبلاد غربة[٨٦]، وكان من إنباءاته بالغيب ومن معاجزه قوله عليه السلام: لا تنقضي الايام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري.[٨٧]

وقد أخبر الصادق عليه السلام بحال قبر الرضا عليه السلام فقال: لا يزوره من شيعتنا إلا الأندر فالأندر.[٨٨]

واستمر القبر على هذه الحال سنوات طوال ولم يعمر بما يناسب شأنه، بل وكان زواره يتعرضون للتضييق والسلب والنهب، نعم كانت هناك عمارة

---

(٨٥) جواهر الكلام ٢٠/ ٩٩

(٨٦) أوصاف وردت في الروايات عن الإمام الرضا عليه السلام (من زارني على بعد داري)، و(دار مضيعة وبلاد غربة) وغيرها. راجع: بحار الأنوار ١٠٢/ ٣٢ و١٠٢/ ٣٤

(٨٧) بحار الأنوار ١٠٢/ ٩٣ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام

(٨٨) بحار الأنوار ١٠٢/ ٣٥ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام

حول القبر الشريف تعرف بالقبة الهارونية. ولعل الديالمة (البويهيين) بنوا قبة للرضا عليه السلام[٨٩] في القرن الرابع الهجري. وذكر التاريخ أن سُبكتكين (٣٨٧هـ)[٩٠] هدم القبة الشريفة، وبقي المزار على هذه الحال مهدومًا حتى جاء ابنه يمين الدولة محمود بن سبكتكين (٤٢١هـ) فبناها. قال ابن الأثير في ترجمة محمود سبكتكين: وجدد عمارة المشهد بطوس الذي فيه قبر علي بن موسى الرضا والرشيد، وأحسن عمارته. وكان أبوه سبكتكين أخربه وكان أهل طوس يؤذون من يزوره فمنعهم عن ذلك. وكان سبب فعله أنه رأى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام وهو يقول له: إلى متى هذا؟ فعلم أنه يريد أمر المشهد فأمر بعمارته.[٩١]

---

(٨٩) يؤيد ذلك ما حكاه الصدوق رحمه الله في عيون الأخبار من أنه عزم على زيارة الرضا عليه السلام في رجب من سنة ٣٥٢هـ وأبلغ الأمير ركن الدولة البويهي بذلك، فقال له الأمير ركن الدولة: هذا مشهد مبارك وقد زرته وسألت الله تعالى حوائج كانت في نفسي فقضاها لي... راجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١/ ٣١٢ وعنه بحار الأنوار ٤٩/ ٣٢٧

(٩٠) مؤسس الدولة الغزنوية التي حكمت بلاد ما وراء النهر

(٩١) الكامل في التاريخ ٧/ ٧٣٤ في أحداث سنة ٤٢١هـ، ولم تذكر سنة عمارة المشهد المقدس إلا أنها كانت في فترة ملك محمود بن سبكتكين في أواخر القرن الرابع ومطلع القرن الخامس الهجري.

وتعاقبت على الروضة الشريفة ظروف متعددة من إعمار وهدم وتضييق وتشديد على الزوار بما يجعل في الزيارة شدة وصعوبة، إلى أن تحقق وعد الرضاعليه السلام وصارت بقعته مختلفًا للشيعة فجاورها العلماء.

ولم تكن الزيارة والمجاورة في مشهد الرضاعليه السلام محظورة تمامًا رغم أنها لم تكن متاحة بسهولة.

ويستفاد أيضا من مجموع الكرامات التي رواها الصدوقرحمه الله[٩٢] أن المشهد كان يُقصد لزيارة الرضاعليه السلام وكان فيه خدم يعنون بشؤونه، وكانت ثَمّ أبواب تقفل ليلا. كل ذلك قبل زمن الشيخ الصدوقرحمه الله، أي منذ القرن الثالث الهجري وبعد شهادة الرضاعليه السلام بسنوات يسيرة.

ويظهر أن كثيرًا من الزوار كانوا من أبناء العامة، وذكر الشيخ الصدوقرحمه الله عدة قضايا فيها أن الزوار كانوا يبيتون في قبة الرضاعليه السلام للانشغال بالعبادة طوال الليل، وهذا يفيد بأن المقدار المذكور في مجاورة قبر

---

(٩٢) في عيون أخبار الرضاعليه السلام ١/ ٣١١ باب ذكر ما ظهر للناس في وقتنا من بركة هذا المشهد وعلاماته واستجابة الدعاء فيه، ورواها عنه المجلسي في البحار ٤٩/ ٣٢٦ في باب ما ظهر من بركات الروضة الرضوية على مشرفها ألف تحية ومعجزاتهعليه السلام عندها على الناس.

الرضاعليه السلام في تلك العصور هو مجاورة ليلة واحدة للعبادة داخل الروضة الشريفة لا أكثر، وذلك لما تقدم من أسباب.

وقد حكى الشيخ الصدوق رحمه الله في آخر الباب كرامة للإمام عليه السلام لرجل تركي جاء إلى المشهد الشريف يتوسل بالإمام، فلما قضيت حاجته عزم على مجاورة الرضاعليه السلام وعدم مفارقة قبره إلى آخر عمره.[٩٣]

ومما يناسب المقام ما حكاه المحدث الشيخ حسين النوري رحمه الله في دار

---

(٩٣) بحار الأنوار ٤٩/ ٣٣٦ عن عيون أخبار الرضاعليه السلام والقضية هي:

قال الراوي: حضرت مشهد الرضاعليه السلام بطوس، فرأيت رجلا تركيا قد دخل القبة، ووقف عند الرأس، وجعل يبكي ويدعو بالتركية ويقول: يا رب إن كان ابني حيًّا فاجمع بيني وبينه، وإن كان ميتًا فاجعلني من خبره على علم ومعرفة. قال: وكنت أعرف اللغة التركية، فقلت له: أيها الرجل مالك؟ فقال: كان لي ابن وكان معي في حرب إسحاق آباد، ففقدته ولا أعرف خبره، وله أم تديم البكاء عليه، فأنا أدعو الله تعالى هاهنا في ذلك لأني سمعت أن الدعاء في هذا المشهد مستجاب.

قال: فرحمته وأخذته بيده وأخرجته لأضيفه ذلك اليوم، فلما خرجنا من المسجد لقينا رجلا طويلا مختطا عليه مرقعة فلما بصر بذلك التركي وثب إليه فعانقه وبكى، وعرف كل واحد منهما صاحبه، فإذا ابنه الذي كان يدعو الله تعالى أن يجمع بينه وبينه ويجعله من خبره على علم عند قبر الرضاعليه السلام.

قال: فسألته كيف وقعت إلى هذا الموضع؟ قال: قال: وقعت إلى طبرستان بعد حرب إسحاق آباد، ورباني ديلمي هناك فالآن لما كبرت خرجت في طلب أبي وأمي، فقد كان خفي علي خبرهما، وكنت مع قوم أخذوا الطريق إلى هاهنا فجئت معهم. فقال التركي: قد ظهر لي من أمر هذا المشهد ما صح لي به يقيني وقد آليت على نفسي أن لا أفارق هذا المشهد ما بقيت.

السلام، قال: رأيت في نسخة عتيقة من نهج البلاغة كتبت في سنة ثمان عشر وسبعمائة (٧١٨هـ) بخط بعض الفضلاء، روى عن الإمام أبي عبد الله الحافظ[٩٤] أنه قال: كنت في الروضة الرضوية ليلة جمعة أحييتها، فغلبني النوم في آخرها، وكنت بين النوم واليقظة، فرأيت في تلك الحالة ملكين نزلا من

---

(٩٤) وهو الحاكم النيسابوري، الحافظ للحديث، صاحب المستدرك على الصحيحين، لقب بالحاكم لتوليه القضاء مرة بعد مرة، ثم اعتزل منصبه ليتفرغ للعلم والتصنيف. تولى السفارة بين ملوك بني بويه وبين السامانيين. قال فيه الذهبي: من بحور العلم على تشيع قليل فيه! فهو مُعظِّم للشيخين بيقين، ولذي النورين، وإنما تكلم في معاوية فأوذي، وقال أيضًا: ليس هو رافضيا، بل يتشيع. (ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٦٣) وتهمة الحاكم بالتشيع مشهورة والله العالم بحقيقة حاله.

أما القضية الواردة في المتن فيؤيدها -مضافا إلى ما عرف من تشيعه وميله لأهل البيت عليهم السلام- أنه كتب كتابًا في فضائل الإمام الرضا عليه السلام أسماه: (مفاخر الرضا عليه السلام) والكتاب مفقود، لكن نقل عنه بعض الأخبار ابن حمزة الطوسي في كتابه الثاقب في المناقب، قال ابن حمزة رحمه الله في الثاقب ص٤٨٣: روى الحاكم أبو عبد الله النيسابوري بإسناده في كتابه (مفاخر الرضا عليه السلام) عن أبي حبيب النباجي... إلخ وذكر في موضع آخر ص٤٩٦ خبر الشجره في سناباد التي زرعها الرضا عليه السلام في دار بسنده وكان الناس يستشفون بها، وروى ابن حمزة رحمه الله عنه روايات أخر عن نفس الكتاب.

كما عقد الحاكم في كتابه تاريخ نيسابور -والكتاب مفقود أيضًا- فصلا في سيرة الرضا عليه السلام، وذكر فيه أن الرضا مات شهيدًا في طوس، ومن لطيف ما حكى فيه توافر جماعة من مشايخ العامة لزيارة الرضا عليه السلام بطوس وفيهم إمام أهل الحديث أبو بكر بن خزيمة، وحكى تعظيم إمام أهل الحديث ابن خزيمة (٣١١هـ) وتواضعه وتضرعه لبقعة الرضا عليه السلام ما حيّر فيها أصحابه من مشايخ العامة. حكى كل ذلك عن تاريخ نيسابور ابن حجر في تهذيب التهذيب ٣/ ١٩٥

السماء، وكتبا بخط أخضر على جدار القبة هذين البيتين:

إذا كنتَ تأملُ أو تَرتجي مِن الله في حالَتَيْكَ الرِّضا

فلازِم مَوَدَّةَ آلِ الرسول وجاوِر عليَّ بنَ موسى الرِّضا[٩٥]

ويستفاد من هذه الحادثة أن المجاورة في مشهد الرضا عليه السلام كانت ممكنة وموجودة في ذلك الزمن ولو بنسبة بسيطة، إلا أن الذي عليه المعوّل هو مجاورة علماء المذهب والمتشرعة من أهل الإيمان وهذا ما يظهر أنه متأخر ويرجع تاريخه إلى تهيء الظروف في مدينة طوس.

●●●

أما العلماء الذين وصفوا في تراجمهم أنهم اختاروا جوار الأئمة المعصومين عليهم السلام لا يمكن إحصاؤهم بل هو الأصل في سيرة علماء المذهب، حتى أن جملة من العلماء كان يختار تعدد الجوار[٩٦]، فيتم جواره لأحد المعصومين فترة ثم يجاور في بلد آخر لهذا الغرض، وعلى هذا جرت سيرة

---

(٩٥) دار السلام ٢/ ١٢٨

(٩٦) كالسيد ابن طاووس رحمه الله فإنه جاور في النجف وكربلاء والكاظمية، وكان عازمًا على المجاورة في سامراء رغم أنها لم تكن مهيئة لذلك. راجع كشف المحجة الفصل ١٢٦، والفصل ١٣٤

المتشرعة، وهو عمل الصالحين والمتقين من شيعة أهل البيت[٩٧]، وقبور العلماء إلى جوار المعصومين، وتوقيعاتهم في كتبهم وفي إجازاتهم التي تتكرر فيها عبارات: (كتبه في المشهد الغروي... والمجاور في الحائر... ونحو ذلك) وغير ذلك من مخطوطات وما أورد في تراجمهم مفصلا كله كاشف عن سيرة أساطين الطائفة إلى اليوم في السعي إلى هذا الشرف بمجاورة سادة الخلق.[٩٨]

---

(٩٧) في سرد أسماء العلماء المجاورين إطالة دون ثمرة مع ظهور الحال بأن الأصل هو اختيارهم الجوار، ويمكن معرفة ذلك بالبحث في الكتب المعنية بتراجم العلماء كأمل الآمل، وطبقات أعلام الشيعة، وأعيان الشيعة، وموسوعة طبقات الفقهاء، وغير ذلك.

(٩٨) ولا يخفى أن ما ثبت من مطلوبية مجاورة المعصومين يشمل بعض أولادهم عليهم السلام كالسيدة فاطمة المعصومة عليها السلام؛ بالأدلة العامة، ولجملة من الأخبار الصريحة بذلك، كالمروي عن الصادق عليه السلام: إذا عمّت البلدان الفتن فعليكم بقم وحواليها ونواحيها. وعنه عليه السلام: أهل قم أنصارنا. وعن الرضا عليه السلام: إن للجنة ثمانية أبواب ولأهل قم واحد منها فطوبى لهم ثم طوبى لهم ثم طوبى لهم، ونحوه عن الكاظم عليه السلام. وعن الصادق عليه السلام: إنما سمي قم لأن أهله يجتمعون مع قائم آل محمد صلوات الله عليه ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه. وورد أنه دخل جماعة من أهل الري على الصادق عليه السلام وقالوا: نحن من أهل الري، فقال عليه السلام: مرحبًا بإخواننا من أهل قم، فأعادوا الكلام فأعاد عليه السلام الكلام... ما يدل على أن الإمام عليه السلام يحب النسبة إلى قم. وروي عنهم عليهم السلام: لولا القميون لضاع الدين. بل ورد أن زكريا بن آدم رضي الله عنه أراد ترك مجاورة قم فنهاه الرضا عليه السلام عن ذلك. وغير ذلك كثير مما يدل رجحان المقام بقم والانتساب إليها. راجع بحار الأنوار ج٥٧ من ص٢١٤

ومن المناسب إيراد هذه القضية التي رواها المحدث النوري عن كتاب تحفة المجاورين[٩٩] حيث حكى فيه عن الميرزا محمد مهدي الشهرستاني رحمه الله[١٠٠] أنه قال: تشرفت بمجاور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام في

---

(٩٩) تحفة المجاورين للمولى محمد كاظم بن محمد شفيع الهزارجريبي الحائري تلميذ الوحيد البهبهاني، يروي فيه عنه وعن السيد ميرزا محمد المهدي الشهرستاني وعن الأمير السيد علي صاحب الرياض، ينقل عن كتابه هذا شيخنا في دار السلام، وتوجد نسخته عند الشيخ ميرزا محمد علي الأردوبادي في النجف. (الذريعة ٣/ ٤٦٦)

والكتاب فارسي مخطوط، توجد نسخة منه في النجف الأشرف في مؤسسة كاشف الغطاء رقم المخطوط ١٧١٣، ومكتبة الإمام الخوئي رقم المخطوط ٢/ ٩ وغيرها.

(١٠٠) الميرزا السيد محمد مهدي الشهرستاني الموسوي ابن الميرزا أبو القاسم المنتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، ولد حوالي سنة ١١٣٠هـ في أصفهان وتوفي بكربلاء سنة ١٢١٦هـ ودفن بمقبرته التي كان قد أعدها لنفسه في حياته في الرواق الجنوبي الشرقي من الحضرة الحسينية بجوار قبور الشهداء والتي أصبحت فيما بعد مقبرة الأسرة الشهرستانية من أولاده وأحفاده.

وهو أحد المهادي الأربعة الذين كانوا الأوائل في تلامذة الوحيد البهبهاني وهم: السيد محمد مهدي الشهرستاني، والسيد محمد مهدي بحر العلوم الطباطبائي، والميرزا المولى محمد مهدي النراقي، والميرزا محمد مهدي الطوسي الخراساني المعروف بالشهيد الثالث. وقد استوطن الأول مدينة كربلاء، وانتقل الثاني إلى مدينة النجف وأقام بها، ورجع الثالث إلى تبريز، وعاد الرابع إلى مشهد الرضا عليه السلام. وترجمته في أعيان الشيعة ١٠/ ١٦٣، وله قضية لطيفة في الصلاة على جنازة السيد بحر العلوم رحمه الله ذكرها الشيخ عباس القمي رحمه الله في الكنى والألقاب ٢/ ٣٧٤ تحت عنوان (الميرزا الشهرستاني)

عنفوان الشباب، وكان رجل كثير الصلاح من أهل خاتون آباد يسمى حاج حسنعلي مجاورًا في النجف الأشرف، وكانت بيننا صداقة، وكان يحرضني دائمًا على مجاورة النجف الأشرف ويقول: المجاورة فيها أفضل من كربلاء، ومجاورة كربلاء تورث قساوة القلب.

يقول الميرزا محمد مهدي الشهرستاني: فرأيت ليلة في المنام أني في رواق حرم أمير المؤمنين عليه السلام من جهة الرأس تجاه الشباك الذي يرى منه الضريح المقدس[١٠١]، والحاج حسنعلي الخاتون آبادي المزبور موجود هناك أيضًا، وعلى عادته مشغول بإنكار مجاورة كربلاء، فرأيت أن مولانا صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف أيضًا في هذا المكان.

فسأله الحاج حسنعلي وقال: إن جنابكم مقيم في هذا المكان والناس يسيرون إلى سامراء لزيارتكم؟ فقال عليه السلام: أنا هناك أيضًا! فقال له الحاج حسنعلي: أتأذن لي أن أذهب وأفتح الباب وأكنس؟ فأذن له، ثم قال الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف

---

(١٠١) كان في جهة الرأس الشريف بابان فضيان لا يؤديان انفتاحًا إلى الرواق، حيث وضع خلفهما شباك ثابت كبير من الفولاذ المغلف بالنحاس الأصفر. وقد ألغي هذا الشباك اليوم بعد بناء صحن أبي طالب عليه السلام في جهته وفتح باب من الحضرة الشريفة إليه.

ابتداءً: لا يذهب بأحد من كربلاء إلى جهنم، ثم أشار إلى ضريح أمير المؤمنين عليه السلام وقال: بحق أمير المؤمنين عليه السلام لا يقودون أحدًا من كربلاء إلى جهنم.

فوقع في خاطري أن قسم المعصوم لإنكار الحاج حسنعلي مجاورة كربلاء. ثم قال عجل الله تعالى فرجه الشريف: بشرط أن يبيت فيه ليلة. وفهمت من كلامه عجل الله تعالى فرجه الشريف أن مقصوده من البيتوتة هي القيام بالعبادة طوال الليل؛ فقلت: إننا ننام في الليالي إلى طلوع الشمس؟ فقال عجل الله تعالى فرجه الشريف: وإن نام إلى طلوع الشمس!

وكانت تلك الرؤيا سببا لاختياري كربلاء للمجاورة.[١٠٢]

---

(١٠٢) راجع دار السلام للمحدث النوري رحمه الله ٢/ ١٤٩، وقد نقلنا النص بعد مقارنته بمخطوطة تحفة المجاورين.

الجوار والتوطن

الذي يظهر من روايات المجاورة في مكة واستحباب التحول عنها خلال السنة وغيرها من القرائن أن الجوار يتحقق بالسكنى فترة معتدًّا بها[١٠٣]

(١٠٣) يمكن تحديدها بمدة عدة أشهر أو دون السنة، ويستفاد هذا التحديد من روايات أحكام المجاورة في مكة، مثل ما روي عن أبي جعفر عليه السلام: من جاور سنة غفر له ذنوبه ولأهل بيته ولكل من استغفر له ولعشيرته ولجيرانه ذنوبه تسع سنين وقد مضت، وعصموا من كل سوء أربعين ومئة سنة.. (وسائل الشيعة ٩/ ٣٤٠) وما روي عن الصادق عليه السلام: من تمتع في غير أشهر الحج ثم جاور بمكة حتى يحضر الحج فليس عليه دم إنما هي حجة مفردة، وإنما الأضحى على أهل الأمصار. (وسائل الشيعة ١٠/ ٨٧) وهذا يدل على أن عنوان الجوار يصدق على المقيم دون السنة.

بل يمكن الادعاء أن عنوان المجاورة يصدق على من نوى الإقامة في بلد المشهد عشرة أيام، فيكون مكلفًا بإتمام الصلاة لا قصرها. قال السيد الشبيري الزنجاني دام ظله: ورد التأكيد على قصد إقامة عشرة أيام والإتمام في الصلاة في المدن المقدسة: مكة والمدينة والنجف (أو الكوفة) وكربلاء، والظاهر وجوب التقصير فيها -كسائر المدن- ما لم يقصد الإقامة عشرة أيام. المسائل الشرعية ٢٤٢

وهذا مؤيد لما ذهب إليه الصدوق رحمه الله بعد ذكره رواية في إتمام الصلاة في المواطن الأربعة، قال رحمه الله: يعني بذلك أن يعزم على مقام عشرة أيام في هذه المواطن حتى يتم.. من لا يحضره الفقيه ١/ ٤٤٢

وحاصل ذلك أن روايات الإتمام للمسافر في المواطن الأربعة يُراد منها المجاورة في المشاهد المشرفة ولو عشرة أيام؛ وعلى هذا التقريب فإن عنوان المجاورة يصدق على المقيم عشرًا. ولا يخفى أن هذا الحمل لروايات الإتمام في المشاهد الأربعة مخالف للمشهور.

لكنها دون التوطن. وعلى كل حال فقصد المعصومين عليهم السلام له مراتب:

الأولى: السلام على المعصوم، ويتحقق ذلك من قرب ومن بُعد، لأن المعصوم يسمع الكلام ويرد السلام، وكان من فضل الله على الشيعة أن المؤمن إذا سلّم على المعصوم من بُعد كتبت له زورة كما في بعض الروايات.

الثانية: الزيارة، وتتحقق بحضور الزائر ببدنه عند المزور.

الثالثة: المجاورة، وتتحقق بالمقام فترة من الزمن عند المعصوم عليه السلام، ويظهر أن عنوان المجاور يصدق على المقيم في كامل بلد المشهد المشرف[١٠٤] لا حدود الحرم الشريف.

الرابعة: التوطن والهجرة، وذاك أن يترك الزائر بلده الأم ليقيم عند المعصوم بقية حياته، ليكون من أهل المشهد لا مجرد مجاور.

والفرق بين المجاورة والتوطن أن المجاورة تتحقق بالبقاء قبل أداء

---

(١٠٤) يستفاد ذلك مما حكاه صاحب الجواهر رحمه الله عن العلامة رحمه الله حيث قال: (بل عن ظاهر التحرير أن المشهد البلد، فضلا عن الصحن الشريف والروضة المنورة، بل لا يخفى على من أحاط خبرا بما ورد في الحائر وحرمه وأنه أربعة فراسخ بل أزيد) جواهر الكلام ٤٣/ ٣٢

المناسك أو الزيارة، أو بعد انقضائها فترة قد تستمر عدة أشهر حتى يتلبس[١٠٥] الشخص فيها بعنوان المجاورة، أما التوطن فهو العزم على المجاورة سنوات طويلة واتخاذ المشهد الشريف دار هجرة[١٠٦]، أي أن المجاورة أعم من التوطن، والتوطن فرد خاص من أفراد المجاورة.

●●●

والروايات الشريفة حثت على جميع هذه العناوين، وجعلت لكل قسم منها آدابه، ولتفصيل هذه الآداب مورده؛ غير أنه لا بأس بالإشارة إلى بعضها.

---

(١٠٥) ما ورد في الخبر من أن مجاورة ليلة عند علي عليه السلام أو مبيت ليلة عند الحسين عليه السلام ونحو ذلك فيها إشارة إلى فضيلة الإقامة مهما قصرت، وفيها إشارة إلى الثواب المترتب على المجاورة يتحقق بكل ليلة من ليالي الجوار، إلا أنها لا تثبت تلبس عنوان (المجاور) على من يجاور ليلة واحدة.

(١٠٦) يستفاد ذلك من عدة روايات، منها: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الطواف لغير أهل مكة أفضل من الصلاة، والصلاة لأهل مكة والقاطنين بها أفضل من الطواف. وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: الطواف للمجاورين أفضل من الصلاة، والصلاة لأهل مكة والقاطنين بها أفضل من الطواف. (وسائل الشيعة ٩/ ٣٩٨)

والشاهد من الروايتين في مسألة أفضلية الصلاة على الطواف التفريق في الحكم بين المجاورين وبين أهل مكة والقاطنين بها. ويلزم من ذلك التفريق بين عنوان المجاورة، وعنوان الاستيطان.

وقد ورد في الروايات الأمر باتخاذ كربلاء دار هجرة، كما أن مطلق المقام عند الحسين عليه السلام مأمور به، فكلا العنوانين (الجوار والاستيطان) مأمور به.

أما السلام على المعصوم فمن آدابه الكون على طهارة، والصعود على سطح الدار، والصلاة ركعتين وغير ذلك[١٠٧].

أما الزيارة من قرب فقد فصّل العلماء في آدابها؛ فمن الآداب -فضلا عن الكون على طهارة وصلاة الزيارة[١٠٨]- الاغتسال، والتطيب[١٠٩]، والمشي بسكينة ووقار، والاستئذان قبل دخول الروضة المباركة والتكبير عند رؤية الضريح المبارك، وتقبيل العتبة العالية وغير ذلك[١١٠].

---

(١٠٧) راجع بحار الأنوار ١٠١/ ٣٦٥ باب زيارة الحسين وسائر الأئمة صلوات الله عليهم حيهم وميتهم من البعيد.

(١٠٨) قد فصّل بعض العلماء في صلاة الزيارة، فإن كانت من قرب تؤدى بعد السلام، وإن كانت من بُعد فالصلاة تؤدى قبل السلام. راجع بحار الأنوار ١٠١/ ٣٧٠ كلام الشهيد الأول عن ابن زهرة وتعليق العلامة المجلسي رضوان الله عليهم.

(١٠٩) أما التطيب فهو مسنون في زيارة جميع الأئمة صلوات الله عليهم، ما عدا زيارة سيد الشهداء عليه السلام فإن التطيب منهي عنه في ما عدا السُّعد.

ورد النهي عن مطلق التطيب والادهان في زيارة الحسين عليه السلام في بحار الأنوار ١٠١/ ١٤٨ وغيره، وورد الأمر بالتطيب بالسُّعد خاصة في بحار الأنوار ١٠١/ ١٣٧ و١٠١/ ١٣٩ مضافًا إلى ما حكي من تطيب جابر الأنصاري رضي الله عنه بالسُّعد عند زيارته الحسين عليه السلام يوم الأربعين.

(١١٠) راجع الدروس للشهيد الأول رحمه الله ٢/ ٢٢، وراجع الفصل الأول من الباب الثالث من مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي رحمه الله المتعلق بالزيارات تحت عنوان آداب الزيارة.

أما الجوار فمن آدابه التحول إلى بلد آخر عند خشية قساوة القلب[١١١] وغير ذلك[١١٢] إلا أن آداب المجاورة لم تبحث بشكل مفصل كما ينبغي، هذا فضلا عن لزوم الإتيان بآداب الزيارة العامة عند دخول المشاهد للزيارة.

---

(١١١) يستفاد ذلك مما ورد في روايات النهي عن مجاورة مكة فقد روي أنه يكره المقام بمكة، لأن رسول الله ﷺ خرج عنها، والمقيم بها يقسو قلبه حتى يأتي فيها ما يأتي في غيرها. وعن أبي عبد الله عليه السلام. قال إذا فرغت من نسكك فارجع فإنه أشوق لك إلى الرجوع. (وسائل الشيعة ٩/ ٣٤٢) والملاك واحد في مكة وغيرها من المشاهد المشرفة، فإن الاعتياد على المجاورة يخفف حالة الشوق عند المؤمن، كما أن الاعتياد قد يورث قساوة تجعل الشخص يأتي المناهي التي يتأكد النهي عنها في الأراضي المقدسة، ولو كان زائرًا -غير مجاورٍ- لما تجرأ على الاتيان بمثل ذلك. ولأجل هذا وردت جملة من الروايات في استحباب التحول أثناء السنة، منها: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا ينبغي للرجل أن يقيم بمكة سنة، قلت: كيف يصنع؟ قال: يتحول عنها. (وسائل الشيعة ٩/ ٣٤٢)

(١١٢) مثلا في آداب المجاورة في المدينة المنورة، قال الشهيد رحمه الله: وليكثر المجاور فيها من الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ، وتلاوة الكتاب العزيز وتدبّر معانيه، وتمثّل أنّه بحضرة رسول الله ﷺ، ويزوره إن استطاع في كلّ يوم مراراً، وأقلّ الزيارة أن يقول إذا شاهد حجرته: السَّلام عليك يا رسول الله، وكذا يزور الأئمّة عليهم السلام ما استطاع، وليحفظ نفسه فيها من المآثم والمظالم. وفي الصدقة فيها على المحاويج ثواب جزيل، وخصوصًا على ذريّة رسول الله ﷺ. (الدروس ٢/ ٢١)

وللميرزا حسين النوري رحمه الله رسالة في أدب المجاورة، وكذلك للمولى محمد كاظم الهزار جريبي الحائري رحمه الله كتاب فارسي بعنوان تحفة المجاورين، وهي كتب نافعة في المقام.

أما التوطن فمن آدابه تضييف الزائرين[١١٣]، فضلا عن مراعاة آداب الجوار العامة. ويستفاد من بعض القضايا أن من آداب الاستيطان عند المعصوم الدفن عنده وعدم الوصية بنقل الجنازة حتى إلى مرقد آخر.[١١٤]

---

(١١٣) يستفاد ذلك مما روي في آداب المقام عند بيت الله الحرام، عن الصادق عليه السلام أنه قال: ليس ينبغي لأهل مكة أن يجعلوا على دورهم أبوابا، وذلك أن الحاج ينزلون معهم في ساحة الدار حتى يقضوا حجهم. وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه نهى أهل مكة أن يؤاجروا دورهم، وأن يعلقوا عليها أبوابا، وقال: {سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ} قال: وفعل ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي حتى كان في زمن معاوية. وعنه عليه السلام أنه كره إجارة بيوت مكة وقرأ: {سَوَاء الْعَاكِفُ...}. (وسائل الشيعة ٩/ ٣٦٨) ويستفاد ذلك أيضًا مما روي بأن الحسين عليه السلام اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم، وتصدق بها عليهم، وشرط أن يرشدوا إلى قبره، ويضيفوا من زاره ثلاثة أيّام. (مستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٢١)

(١١٤) من ذلك قضية الشيخ يوسف العصفور صاحب الحدائق رحمه الله الذي كان مقيمًا في كربلاء المقدسة، وكان قد أوصى أن يدفن إلى جوار أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنه عند احتضاره استدعى ولده وغيّر الوصية وأمر بأن يدفن عند الحسين عليه السلام، وذاك أنه رآى سيد الشهداء عليه السلام في إغماءة له عند احتضاره يقول له كالمعاتب: يا يوسف جاورتنا حيًّا وأوصيت أن تنقل إلى غير جوارنا ميّتًا! فقال له الشيخ: سيدي إني قرأت في أخباركم أن الدفن في الغري يحمي المدفون من عذاب البرزخ! فقال له الحسين عليه السلام: لا عليك كن في جوارنا وأنت في شفاعتنا في البرزخ والمحشر.

وقد دفن رحمه الله بجوار سيد الشهداء عليه السلام تحت القبة الشريفة.

راجع: الشيخ يوسف العصفور ومنهجه العلمي دراسة تحليلية عن حياة المحقق البحراني ص١٧٩

كما أن هناك أحكامًا قد تختلف الوظيفة فيها بين الزائر والمجاور[١١٥].

والمسألة لم تأخذ حقها من البحث والمناقشة، وهي تستدعي مزيد تفصيل وتدقيق ما يخرج الرسالة عن غرضها، وإنما أشرنا إلى بعض النكات دون تفصيل في النقض والإبرام.

---

(١١٥) من الأحكام التي قد تختلف كراهية التطيب والادهان لزيارة الحسين عليه السلام، فإن الوارد عن الصادق عليه السلام: إذا أردت الخروج إلى أبي عبد الله عليه السلام فصم قبل أن تخرج ثلاثة أيام يوم الأربعاء والخميس ويوم الجمعة، فاذا أمسيت ليلة الجمعة فصل صلاة الليل ثم قم فانظر في نواحي السماء واغتسل تلك الليلة قبل المغرب ثم تنام على طهر فاذا أردت المشي إليه فاغتسل ولا تطيب ولا تدهن ولا تكتحل حتى تأتي القبر. (بحار الأنوار ١٠١/ ١٤٨) والذي يظهر من مفهوم الغاية أن الزيارة إذا تمت ارتفع النهي عن التطيب، فيمكن القول أن المجاور له أن يتطيب إلا إذا أراد الزيارة ودخول المشهد الشريف.

ومما يختلف بين الزائر والمجاور الصدق العرفي للزيارة، فإن المسافر إذا بلغ حدود الحرم صدق عليه أنه في الزيارة، وصدق على صلاته في النجف الأشرف أنها صلاة عند علي عليه السلام، أما المجاور فلا يصدق عليه ذلك إلا إذا أتى المشهد الشريف.

والحق أن هذه استظهارات قابلة للمناقشة، ولما لم يكن غرض الرسالة التفصيل في مناقشة هذه الآداب أشرنا إليها للتنبيه على وجود هذه الاحتمالات لا للجزم بها.

الخاتمة

إن المستفاد من الأخبار التأكيد على سنة مجاورة المعصوم، ورغم أن هذا العنوان لم يفرد له باب مستقل إلا أن استحبابه مذكور بصريح النصوص والأخبار، مشار إليه في مطاوي كلمات الفقهاء، وأوضح من كلماتهم سيرتهم المتصلة بزمن النص.

والجوار على كل حال عبادة تتقوم بالإقامة في المشاهد المشرفة، وهي وإن كانت أكثر ارتباطًا بالزيارة إلا أنها أقرب من حيث الماهية إلى الاعتكاف والمرابطة؛ لذلك يتطرق لها علماء العامة تارة كقسيم للاعتكاف -فإن الاعتكاف هو المكث والمقام في المسجد بشروط-، وتارة يتطرقون لها كقسيم للمرابطة -فإن الرباط هو المقام أو السكنى في بلد الثغور بغرض رصد وتأمين الحدود الإسلامية-. ويتشابه الاعتكاف والرباط بالمجاورة بأنها عبادات قوامها المكث والمقام، إذ المجاورة -عندهم- هي المقام بجوار الحرمين، وعندنا تشمل المقام عند جميع المشاهد المشرفة للأئمة عليهم السلام.

وهذه العبادة نصّت الروايات الشريفة على رجحانها، غير أن هناك

روايات تنهى عنها؛ والمستفاد من الأخبار وسيرة المتشرعة أن المجاورة مأمور بها بشرط التقيد بآدابها، بل المجاورة دون تقيد بالآداب منهي عنها -لا أنه يقل ثوابها-، فضلا عن جملة من العناوين العارضة التي يلزم منها ترك المجاورة، كالتقية، وككون أهل البلد أهل سوء يكفرون بالله جهرة فإن مجاورتهم مفسدة للدين.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

النجف الأشرف

٢٤ جمادي الأولى ١٤٤٦هـ

حسن يوسف بن نخي

تم النشر إلكترونيًا على قناة (باب القبلة) وهذه النسخة غير معدة للطباعة